

## الفلسفة الشرقية

### بحوث تحليلية

للدكتور محمد غلاب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

- ٢٧ -

—>>><<<—

### الفلسفة الصينية

العصر المنهجي — كونفيشيوس

#### مؤلفاته

تنقسم مؤلفات هذا الحكيم إلى قسمين . فأما القسم الأول فهو مجموعة شروحه وتعليقاته على الكتب المقدسة التي نسخها بخطه ثم أحاطها بطائفة ضخمة من معارفه العامة وآرائه الشخصية في الدين والفلسفتين النظرية والعملية ، كما أن تلاميذه قد أحاطوا بالأقسام الفلسفية من هذه الكتب بشروحهم وتعليقاتهم كذلك إلى حد أن اختلطت على الباحثين آراؤهم بآراء أستاذهم

وأما القسم الثاني فهو كتبه الخاصة التي وضعها وضمها مذهبه وعارض في بعضها مذاهب من سبقوه وعاصروه من الفلاسفة الذين أسلفنا الحديث عنهم في الفصول السابقة . وهذا القسم أيضاً ممتزج بآراء التلاميذ على نحو ما امتزجت آراء سقراط بمذهب أفلاطون وإن كانت آراء حكيمي الإغريق قد وضحت وتبين منها ما للأستاذ وما للتلميذ بفضل علماء العصر الحديث الذين نخص منهم بالذكر العالمين الفرنسيين « ريفو » و « برييه »

#### القسم الأول

يحتوي هذا القسم كل الكتب المقدسة الهامة التي سبقت عصر « كونفيشيوس » ولكن الذي يعنينا هنا هو الكتب الرئيسية وهي : « وي — كينج » أي الكتب الخمسة ، فأما « شو — كينج » و « شي — كينج » فقد كان حكيمنا معنياً بهما عناية فائقة إلى حد أنه اتخذ مما فيهما من صورٍ مثله العليا التي يجب أن يحتذيها الحكماء والملوك ؛ ولم يمرض المستصينون لتحقيق ما احتواه هذان الكتابان وتبيين ما للأستاذ فيهما وما

ابن علي فأنشده الكيت قصيدته التي أولها :

مَنْ لِقَلْبِهِ مَتَيْمٌ مَسْتَهَامٌ

فأمر له بحال وثياب ، فقال الكيت : والله ما أحببتكم للدنيا ، ولو أردت الدنيا لأتيت من هي في يديه ، ولكنني أحببتكم للآخرة ، فأما الثياب التي أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبركاتهما ، وأما المال فلا أقبله ، فرده وقبل الثياب

وحدث أيضاً فقال : دخلنا على فاطمة بنت الحسين رضي الله عنهما ، فقالت : هذا شاعرنا أهل البيت ، وجاءت بقدر فيه سويق فخرته بيدها وأستقته الكيت فشره ، ثم أمرت له بثلاثين ديناراً وصركب ، فهملت عيناه وقال : لا والله لا أقبلها ، إني لا أحبكم للدنيا

وحدث محمد بن سهل صاحب الكيت قال : دخلت مع الكيت على أبي عبد الله جعفر بن محمد في أيام التشريق فقال له : جملت فذاك ألا أنشدك ؟ فقال إنها أيام عظام ، قال إنها فيكم ، قال هات ، وبمت أبو عبد الله إلى بعض أهله فقرب ، فأنشده فكثر البكاء حتى أتى على هذا البيت :

يَصِيبُ بِهِ الرَّأْمُونَ عَنْ قَوْسِ غَيْرِهِمْ

فيا آخراً أسدَى له التيَّ أوَّلُ  
فرجع أبو عبد الله بيده وقال : اللهم اغفر للكيت ما قدم وما أصر ، وما أسر وما أعلن ، وأعطه حتى يرضى

عبد المنعم العسيري

—>>><<<—

### الحكم في مباراة الأقصوة

اجتمعت لجنة التحكيم في مباراة الأقصوة التي اقترحتها مجلة الرواية وجعلت للفائز فيها جائزة قدرها خمسة عشر جنيهاً ، يوم الأحد الماضي مؤلفة من حضرات الأساتذة : محمد فريد أبو حديد ، توفيق الحكيم ، إبراهيم عبد القادر المازني ، محمود تيمور ، ثم صاحب هذه المجلة ، ونظرت فيما يجمع من الأقصيص المتسابقة ، ثم قررت النظام الذي تتبعه في قراءتها وفحصها . وستجتمع مرات أخرى متوالية حتى يصدر حكمها فنشره في الرواية والرسالة وبعض الصحف ،

أما الكتاب الثاني وهو « تا - هيو » أو الدراسة الكبرى فهو دراسات وجيزة لبعض الآراء والمشاكل الفكرية في صورة أمثلة وحكم ، وقد كتبه « تسيه سي » حفيد كونفيشيوس « ولكن « تشو - إي » أحد شراح « كونفيشيوس » الصينيين في القرن الثاني عشر يؤكد أن النصوص الأصلية لهذا الكتاب قد وجدت مثبتة بخط الحكيم نفسه وأن حفيده لم يزد على شرحها والتعليق عليها . ولا يرى العلماء في هذا الرأي بأساً إذ يحتفل أن يكون هذا الحفيد قد استولى على نصوص جده . وأضاف إليها مذكرات من معارفه الخاصة المتواترة في الأسرة عن هذا الجد . ويرى بعض آخر من الباحثين أن هذا الحفيد لم يجد في الغالب نصوصاً مكتوبة من هذا السفر ، وإنما وجد روايات شفوية مأثورة عن جده فأثبتها بأسلوبه . وأما الذي شرحها وعلق عليها ، فهو « تسايج - تسيه » أحد تلاميذ « كونفيشيوس »

أما الكتاب الثالث ، فهو « تشونج - يونج » وهو أهم كتب هذا الحكيم الفلسفية ، لأنه هو الكتاب الوحيد الذي يحوى مذهبه ، والمؤلف الجوهري الذي يعتمد عليه الباحثون في فهم المدرسة « الكونفيشيوسية » ، ويتكون هذا الكتاب من مقدمة واثنين وعشرين فصلاً . فأما المقدمة فقد كتبها حفيده السابق الذكر ، وهي مجموعة وافية من الآراء الأساسية في أخلاق « كونفيشيوس » سمعها هذا الحفيد من جده مباشرة فأثبتها في المقدمة وشرحها شرحاً مفصلاً في بقية الكتاب

ويرى « ألين » الإنجليزي و« فون إركس » الألماني أن هذا الكتاب ليس إلا مجموعة مشوهة من « تاوسيم » ؛ فأما الأول فيرى الأستاذ زانكير أن من العبث الرد عليه ، لأنه هو الذي زعم أن « كونفيشيوس » أسطورة ، وأما الثاني فالسبب الذي خدعه وأوقعه في هذا الخطأ هو أنه وجد أن هذا الكتاب يحتوي على شيء غير يسير من التنسك الذي يشبه ميول « لاهو - تسيه » فاستبعد صدور هذه الآراء عن « كونفيشيوس » ، ولكن هذا خطأ بحت ، لأن « كونفيشيوس » ليس مادياً جافاً ولا نفعياً أراً ، وإنما هو حكيم جليل قيمين بأسمى الأخلاق

وأما الكتاب الرابع فهو مجموعة كتب « مانسيوس » السبعة التي سنعرض لها عند حديثنا عن هذا الفيلسوف

للتلاميذ من شروح وتعليقات . وأما « إي - كينج » فقد وجد عليه الباحثون شروحاً مطولة ، وتعليقات مسهية ، وتقريرات مطنبة ، فدرس العلماء كل هذا دراسة دقيقة خرجوا بعدها مقتنعين بأن هذه الطولات مزيج من آراء : « كونفيشيوس » وتلاميذه ، ولكنهم لم يستطيعوا إلى الآن أن يحلوا هذه المشكلة تماماً فبينوا ما للأستاذ وما للتلاميذ . وأما « لي - كي » فقد ضاع أكثره ، لأنه حين أحرقت الكتب لم يكن ممتدداً أو لآ كثيراً ففقد منه ما فقد ، والجزء القليل الباقي منه وجد - فيما يظهر - بدون شرح ولا تعليق ، لأنه كتاب طقوس دينية أكثر منه أي شيء آخر ، فلم يكن هناك داع للشرح أو للتعليق . وأما كتاب « تشون - تسيو » ومعناه : « يوميات الربيع والخريف » فهو الكتاب الوحيد الذي لم يرتب أحد من الباحثين المدققين في نسبة ما عليه من شروح وتعليقات إلى « كونفيشيوس » وحده . ويؤكد أولئك الباحثون أن هذه التعليقات هي أسهى بكثير من النصوص الأصلية للكتاب ، لأن هذه التعليقات تدل على علم واسع ودراية شاملة بالتاريخ الصيني القديم والمعاصر لهذا الحكيم بدرجة أدهشت علماء العصر الحديث

### القسم الثاني

يتكون هذا القسم من أربعة مؤلفات تدعى بالصينية « سي - شو » . وتعتبرنا في جانب هذه الكتب بألف أو وضع فيه شيء من التجوز ، لأن المستصينين يكادون يجمعون على أن الحكيم أملى بعض هذه الكتب على تلاميذه إملاء كما حاورهم أو حاضرم بالبعض الآخر فرووه عنه وأثبتوه مقترناً باسمه دون تغيير ولا تبدل . وليس هذا لحسب ، بل إن كتاب « لون - يو » أحد الكتب الأربعة وأكثرها إنتشاراً قد وجد مكتوباً بأسلوب أحد اثنين تلمذوا على تلاميذ « كونفيشيوس » بعد أن روى له أستاذه عن الحكيم الأكبر ما رواه شفياً من الآراء والأفكار بنصوصها وعباراتها . ويحتوى هذا الكتاب على مجموعة من آراء مقتضبة وجوامع كلم ، ومعادنات مع التلاميذ وملاحظات هؤلاء على آراء أستاذهم وهلم جرا . وليس لهذا الكتاب - على سعة ذبوعه وتداوله - أهمية فلسفية عظيمة

## منهجه وتأثيره

يشبه منهج «كونفوشيوس» منهج «سقراط» كثيراً، إذ هو يحاول أن يرشد تلاميذه إلى الحقيقة، ولكن لا عن طريق التقليد والتحفيز، بل عن طريق البحث الشخصي الذي يتدرج من المحسات إلى العقول، ويصعد من الماديات إلى المعنويات؛ فتارة يلجح إلى البرهان المنطقي خفياً، وأخرى يشير إلى تناقض الباطل إشارة غامضة ثم يقود التلاميذ في طريق المحاوراة قيادة منطقية محكمة إلى أن يعثروا على الحق بأنفسهم أو يهدموا الباطل بمجهوداتهم الشخصية المراقبة بإرشاد الأستاذ. وفي هذا يقول: «أنا لا أعلم من لا يشتهي أن يفهم، ولا أساعد على الكلام من لا يحاول أن يوضح أفكاره» (١).

ومن منهجه أيضاً أنه كان يضع أمام تلاميذه مُثلاً حية من أخلاق الحكماء والملوك السابقين أو من المآثورات الدينية العالية أو القصائد الشعرية الفعمة بالفضيلة أو الحوادث التاريخية التي تصلح لأن تتخذ نماذج للسمو والنبيل، وكان يسلك هذا المنهج في تعليم تلاميذه الفلسفة والأدب والفن والأخلاق.

ويروى المؤرخون أن تلاميذ هذا الحكيم الذين استفادوا من منهجه بلغ عددهم في حياته ثلاثة آلاف تلميذ، وأن عدداً كبيراً من بين هؤلاء التلاميذ شغلوا في الدولة مناصب هامة وأهم كانوا المنصر الأساسيين للملأ والأدباء الذين حكموا الصين أكثر من ألفي سنة، لأن «كونفوشيوس» قد أحسن تأديبهم فلم يخلق فيهم الميل إلى الانزواء والياس، وإنما بث في نفوسهم روح الإصلاح والانتصار والسيادة، ولهذا لم تكن حلقات دروسه مقصورة على التلاميذ، بل كانت تضم بينها عدداً ضخماً من كبار النبلاء والارستوقراطيين الذين وجدوا فيه أكبر محقق لمظمة الصين المنشودة فدفعتهم وطينتهم إلى الاعتراف من نعيم علمه الصافي وإلى محاكاة أخلاقه السامية النبيلة.

وفي الحق أن كونفوشيوس يجب أن يعد في طليعة أفاضال الرجال الذين خلقوا المدنية الصينية، بل المدنية العالمية؛ إذ هو

الذي أنشأ السياسة الصينية القيمة، وهو الذي وضع قواعد أخلاق الأسرة على الأسس الفلسفية المجتربة، وهو الذي قسم الفلسفة العملية إلى فروعها الثلاثة: الأخلاق الشخصية، وتديير المنزل، وسياسة الدولة أو المدينة الفاضلة؛ فسبق بذلك أرسطو وأفلاطون كما سنشير إليه حين نعرض لأخلاقه النظرية. وليس هذا غريب، بل هو الذي رفع علم التاريخ في الصين إلى معاف العلوم الأخرى عند الأمم الراقية، وهو أول من أثاروا سبيل علم المنطق للذين أتوا بعدهم فزادوا عليه مآجعله قيناً بالاحترام والاحلال غير أنه على الرغم من ذلك كله لم يصادف في حياته نجاحاً باهراً كما أسلفنا. والسبب في ذلك الاخفاق هو أخلاقه المتينة التي لم تسمح له أن يتعلق أعظم الملوك والأمراء مرة واحدة في حياته، ولا أن يجني رأسه إلا للحق وحده، فضايقت هذه الأخلاق القويمة البطلين من الطغاة والتجبرين. وكانت نتيجة ذلك أن ربح فيلسوفنا الفضيلة وخسر الحياة المادية.

على أن الشعب لم يلبث أن تنبه إلى حكمة «كونفوشيوس» الخالدة القائمة: «إن الجوهر الأساسي العمل للشعب يجب أن يكون هو الأخلاق، وإن سياسة الدولة لا تنتج نجاحاً حقيقياً إلا إذا أسست على الأخلاق»

لما تنبه الشعب إلى هذه الحكمة وآمن بها وأخذ يطبقها تطبيقاً عملياً دقيقاً أخذت أحواله العامة تتحسن شيئاً فشيئاً حتى بلغت الأوج. والفضل في ذلك كله راجع إلى التماسك الأخلاقي الذي وضع هذا الحكيم بذوره في تعاليمه القيمة الجليلة

«ينبع» محمد غمريب

أطلب مؤلفات  
الاستاذ الأستاذ شيبلي  
وكتابه  
الاسلام الصحيح

من مكتبة الرشد، شارع الفلكي (بابلدور)،  
رسالة الكتب العربية المشهورة